AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

F
378.62
J321mf
C.1

الجامعة المصرية

مجموعة الخطب التى ألقيت

فى

حفلة الافتتاح الرسمية

بالقاعة الكبرى بمجلس شورى القوانين

فى صباح يوم الاثنين ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٢٦

(٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨)

المطبعة الاميرية بمصر

١٩٠٨

خطبـــة

البرنس احمد فؤاد باشا رئيس مجلس الجامعة المصرية

مولاى

أتقدم اليك بلسان الجامعة رافعا لاعتابك آيات الشكران لانك مصـدر حياتها ووجودها .

ونحن لانجهل أن هذا العمل الكبير ستطرأ عليه تغيرات كثيرة قبل أن يأخذ شكله النهائى . ولكننا لم ندخر وسعا فى تثبيت قواعده ليكون البناء الآنى قائما على أساس مكين وافيا بما تدعو اليه الحاجة فى مستقبل الأيام .

ولقد جاء اليوم الذى تقضى فيه الضرورة على الشـبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة فى نفس القاهرة دون أن تتغرب فى ربوع العلم التى نالت بفضله مكانة عالية فى العمران .

وانى أبتهل اليـه تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العـلم عموما ولشبيبتنا المصرية خصوصا . إذ أننا لم نُقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالى بسببه إلا لترقية هذه الشـبيبة التى لايكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى أنه يتحتم علينا أيضا أن تحلى بفضيلتى الصـبر والاستمرار لانهما سر النجاح . ولا ريب عندنا فى أنها ستكسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التى وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والأمة بأسرها .

وفى هذا اليوم المشهود و يمن طالعك السـعيد أتقـدم يامولاى بين يديك الكريمتين راجيا منك أن تتكرم بافتتاح الجامعة المصرية ؟

النطق الخديوى الكريم

يادولة الرئيس

ياحضرات الاعضاء

لقـــد حاز مشروع الجامعـــة المصرية لدىّ ارتياحا عظيما منذ توجهت اليه الافكار .

ولذلك فانى أرحب اليوم بظهوره فى عالم الوجود إذ جاءت الجامعة فى أوانها مكملةً ومتوّجةً لنظام التعليم الذى وضع أساســـه جدى المجيد محمـد على وقوى أركانه أسلافى الكرام .

فأشكركم وجميعَ الذين عاونوكم بعلمهم وعملهم ومالهم على تحليـة وطننا العـزيز بهذا المعهد العلمى الجليل الذى أتمنى له كل النجاح .

وأؤكد لكم أنى مع حكومتى السنية سنواليه بالعناية والرعاية . ولى أمل وطيد فى أن أغنياء القطر وفضلاءه يستمرّون على التنافس فى إمداده بمعونتهم حتى تبلغ الامة غايتها منه ان شاء الله .

وانى أشاركم يادولة الرئيس فى تلك النصـائح الحكيمة التى ألقيتموها على الشبيبة المصرية وأنا على يقين بانها ستواظب على العمل بما يضمن لها استحقاق ثقتى وثقة البلاد .

فباسم الفتاح العليم أعلن افتتاح الجامعة المصرية وأسأله تعالى أن يجعلها منهلا عذبا لطلاب العلم والعرفان على اختلاف الاجناس والاديان ٤

خطبـــــة

عبد الخالق ثروت باشا أحد أعضاء مجلس الادارة

مولاي

إن تاريخ الجامعـــة المصرية لصحيفةٌ من صحف مآثركم الجليلة بل هو لسان صدق ينطق بما فى نفسكم الشريفة من الميل العظيم لرقى البلاد وإسعادها .

وإن نهوض الامة الى إحياء العلم لوحىٌ تلقته عن إرادتك العالية . فلا غرو أن أخذت حركة العنـاية بنشر التعليم تنمو وتزداد الى أن عمت جميع الطبقات وأقبل الناس إقبالا محمودا على انشاء دور العلم وتسابقوا الى تشييدها .

إلا أن الامة المصرية لم تقف بها عند هذا الحد رغبتها فى بلوغ الدرجة المبتغاة لها بين الامم الراقية بل تطلعت الى ماهو أسمى من ذلك من درجات التعليم .

نظرت فاذا التربيـــة العملية فى مصر الآن لاتزال ترمى الى إعداد ناشئة تقوم بحاجات البلاد وتخريج شبيبة تشتغل كلٌ فى فنه وصناعته وأن دائرة التعليم قد قصرت لذلك على القـدر الضرورى للوصول الى هذه الغاية فخلت البلاد من منهل علمى يستقى منه طلاب المزيد عن هذا القدر .

رأت ان حاجة الامة الآن الى علماء راسخين فى العلم ليست بأقل من حاجتها فى الازمان السابقة الى متعلمين عاملين وانه قد حان الوقت لتخريج شبيبة تأخذ بيد الامة فتحلها المقام الذى يجب أن يكون لها بين الامم الراقية ذلك المقام الذى لن تناله الا اذا أقبل أبناؤها على العلم حبا فى العلم ولم يقتصروا منه على مايستفتحون به أبواب الكسب والارتزاق .

رأت أن العلماء فى البلاد الاخرى يكادون يأتون فى كل فرع من فروع العلم بالمعجزات . فكم من مبتكرات تخالها خلقا سماويا جديدا جاءنا خبرها من أوروبا وغيرها ونحن نكتفى من ذلك البحر الزاخر بمصـــة الوشـــل ! وكم من مخترعات مبدعات وآيات بينات فتح الله بها على أولئك العلماء وحظنا فيها حظ المتفرج !

رات أنه من النقص أن تبقى مصر عالة على الامم بعـد أن كانت تغذيها بالعلم والعرفان وان تظل فى مثل هذا العصر خلوا من جامعة تصوغ لهـا طائفة تمجد ذكرها كما كان ذكرها ممجدا فى ماضى الايام والعصور الخالية .

رأت كل ذلك وحق لهـا أن تراه وتتدبره . فلا جرم ان قامت قومة واحدة تدعو الى انشاء تلك الجامعة .

فولت وجهها بادئ الرأى شطر الحكومة ونظرت فى المسألة من وجهة الواجب عليها فرأت أن الحكومات فى جميع بلاد الدنيا لاتستطيع وحدها النهوض بالامة من طريق التعليم وأنه ليس من أمة فقهت الى مثل ماقفهت اليه الامة المصرية من الحاجة العلمية إلا وأخذت بيد حكومتها فى هذا السبيل وأن الفضل فى ترقية التعليم فى البلاد الاخرى يرجع أكثره الى جمعيات أسست دورا للعلم وتكفلت هى بادارتها واقتصرت مهمة الحكومة فيها على تعضيدها ومساعدتها بقدر الامكان .

فلما أحست الامة بما هو واجب عليها بازاء هذا المشروع توجهت عنايتها الى الحث عليه وتحقيق الغرض منه .

هنالك انقسم الناس الى متطير يخاف على المصريين أن يقدموا على هذا المشروع فيحبط عملهم فينالهم من العار ما كانوا فى غنى عنه . ومستبشر يرى فى يسر الحال وهمة المصريين واريحية شمائلهم مايحمل على الاعتقاد بأن عملهم سيكلل بالفوز ويتوج بالنجاح .

وقد دلّ الواقع على أن المصريين والحمد لله أهل لهذا الجد المحمود فقد تبرعوا ولم يثنهم عن العطاء شدة نزلت بالبلاد فاستحقوا لهذه الاريحية عطف كل محب لترقية العلوم والمعارف .

بيد أن ماجُمع من تلك العطايا المشكورة ما كان يكفى وحده لابراز هذا العمل الكبير من ظلمة الفكر الى نور الوجود .

هنالك يامولاى هبّت على الجامعة وهى وليدة لاتعلم حياتها من موتها هبت عليها نفحةٌ مباركة من تعطفاتك السامية . فدبت فيها روح الحياة فكان لابد من أن تخطو وتدرج .

تفضلت حفظك الله فتقبلت أن تكون الجامعة تحت رعايتك العالية وشرفتها برآسة الامير ولى عهدك الكريم رآسة شرف وبرآسة صاحب الدولة عمك الامير الجليل احمد فؤاد باشا رآسة فعلية وأمرت رعاك الله فاجريت عليها اعانة سنوية

بفضل تلك الرعاية السامية وفى ظلها الوارف تكونت الجامعة ووضع دستورها واخذت لجنة ادارتها فى البحث عن أقرب الطرق لاظهارها فى الوجود وادخالها فى طور العمل

ولما كان من الضرورى أن يكون التدريس فيها باللغة العربية عولت اللجنة على أن تبعث بارساليات الى البلاد الاوروبية حتى إذا ماتم اعضاؤها دروسهم واستقصوا العلوم التى انقطعوا لها هناك عادوا فقاموا بالتدريس باللغة العربية كل فى علمه الذى اختص به .

وقد أوفدت الجامعة لهذا القصد الشريف فى اوائل الصيف الماضى جماعة من خيرة النابغين من الشبيبة المصرية وهم الآن مغتربون فى ربوع تلك الاقطار المتنائية لتحصيل العلم العالى وادخاره ليوم رجوعهم الى مصر فيبرونها بعلمهم وتعليمهم كما بزتهم بعنايتها بتربيتهم ويكونون عدتنا واساطين جامعتنا فى نيل أمانينا .

ولما كان تحقيق هذا المقصد يستلزم زمنا طويلا فتعجيلا بالفائدة تقرر أن يقوم من الآن بعض العلماء بتدريس بعض العلوم التى لم تنل الى الآن فى مصر حظا وافرا من العناية مع ماها من الاهمية والاثر الحسن فى ترقية المدارك وانارة البصائر .

ولما كان من المحقق أن جميع الأمم عندما تأخذ بأسباب النهضة لامندوحة لها عن محاكاة الشعوب التى أصابت أوفر قسط من الحضارة الراقية وكان الاخذ عن أمة من الامم يوجب الوقوف على أساليبها ودرجة تصوراتها وكيفية تدرجها فى ترقيها فقد اختارت الجامعة أن تمشى مع ذلك الناموس الطبيعى بتلقين الطلاب فنون الادبيات عن الامتين الكبيرتين اللتين انتشرت لغتهما بين المصريين انتشارا كبيرا فقررت تدريس علوم الأدبيات عند الفرنساويين وعند الانكليز كذلك رأت من أول الواجبات عليها أن يكون فى مقدمة مايدرس فى جامعة مصرية تاريخ الحضارة القديمة فى مصر والشرق وتاريخ الحضارة الاسلامية تلك الحضارة التى لا يزال أهل الفضل من كل الامم الراقية يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام . ومَنْ أولى من المصريين بالوقوف على حقائق هاتين الحضارتين لتحقيق نهضتهم الحالية واسترجاع ما كان لاسلافهم من مجد عظيم ومقام كريم .

وها نحن أولاء نحتفل اليوم بأول خطوة تخطوها الأمة المصرية لترتقى الى مستوى الأمم الناهضة . نحتفل بوضع أول درجة من سلم العروج الى أوج العزة والفخار

فاليك ياسيد البلاد وأميرها ترفع الجامعة فروض الشكر والثناء على ما أوليتها من نعم حققت بها آمال المستبشرين وأمنت بها روع المتطيرين الخائفين

وان كل محب لخير بلاده ليسطر لك فى سويداء فؤاده ذكرى تشريفك هذا الاحتفال متوجا نعمك السابقة باعلان رضائك السامى عنها وفقك الله لتحقيق ماترجوه لامتك من الخير والسعادة وأتم نعمته عليك من التوفيق والسداد ٦

خطبة

احمد زكى بك أحد أعضاء مجلس الادارة وسكرتير الجامعة

مولاى

بلادك مهد الحضارة والعرفان .

لذلك كان حقًّا على الجامعة المصرية أن تستفتح بتوجيه الأنظار إلى مفاخرها فى قديم الزمان وإلى مآثرها فى دولة الإسلام : تمهيدًا لما ترجيه من النجاح فى خدمة هذه البلاد وفى إعادة العلوم إلى لسان العرب الذى وعاها وآستوعبها فى أيام هارون والمأمون .

تلك الأُمنية العالية ستتحقق للجامعة بفضل الله لأنها مرموقة بعناية العباس .

○
○ ○

أزهرت الحضارة على ضفاف النيل الغناء وأينعت ثمراتها فى عهد الفراعنة الاقدمين . وهاهى بقايا آثارهم تحدثنا بما بلغوه من المكانة العليا فى تحصيل المعارف والإجادة فى كل أنواع الفنون والصنائع . ولا يزال أهل البحث والآستقراء يكشفون لنا فى كل يوم من خفايا علومهم ومخزون أسرارهم مايقضى بالعجب العجاب ويشهد لهم بالأسبقية والرجحان .

آنتقلت الحضارة إلى الاسكندرية فى عهد البطالسة[1] فكانت دار العلم والتعليم وحفظت لبلادنا فى سجل التاريخ تلك المزية التى تفردت بها مصر فى العالم القديم . وكانتها بتاج من الفخار مازال بهاؤه ساطعا رغما عن تصاريف الزمان وعبث الايام .

جاء الدور للاسلام . فرفع رايته على المشارق والمغارب . وأخرج من بطون الرمال الذهبية مدينة القاهرة التى قامت على إثر طيبة ومنف وعين شمس[2] وصارت كعبة للعلم ومنهلا يتزاحم عليه طلاب الفضل وعشاق المعالى .

(1) Les Lagides (2) Thèbe, Memphis, Héliopolis

○
○ ○

كما كانت آثور(١) تسابق مملكة الفراعنة فى إحراز السيادة السياسية وتوسيع دائرة المعلومات البشرية كذلك ظلت (باسم العراق) تجارى وادى النيل فى هذا المضمار عند ما أشرقت عليهما معاً أنوار الإسلام . ولقد بلغت المناظرة الأدبية والمزاحمة العلمية بين القاهرة وبغداد حدّا يقضى بالدهشة والاستغراب. إذ كانتا تخاطفان أهل العلم وكتب العلم استئثارا بالفضل وأهل الفضل . حتى إن أبناء العراق أوفدوا رجلا اتفق مع أحد علماء مصر فاشترى منه عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب العربية وهى ثلث مجموعته . واتصل الخبر بوزير مصر الأفضل فقام وقعد واستكبر هذا الخطب واستنكره . وقال : كيف تحرم مصر من ذخائرها وأعلاقها وكيف نرضى بتجريدها من حُلاّها وحُليّها وهل يصح انتقال كنوزها إلى غيرها ونحن أحق بها وأهلها أعرف الناس بقدرها؟ تالله هذا لا يكون أبدا. ثم بعث من ماله الخاص إلى العالم المصرى بجملة الثمن الذى ساومه عليه رسول العراق ونقل الكتب إلى خزائنه وكتب عليها ألقابه .

أمّةٌ هذه عناية فرد من علمائها وتلك غيرة واحد من وزرائها لا يبعد عليها أن يكون فى دار خلافتها مكتبة جامعة عدّها أهل الدراية من عجائب الدنيا . وقالوا إنه لم يكن فى بلاد الاسلام أعظم منها . وغير الاسلام فى ذلك الوقت لم يكن شيئا مذكورا . بلغ عدد المجلدات فى هذه المكتبة النادرة ١,٦٠٠,٠٠٠ مجلد . وقد ضاعف بعضهم المليون فجعله اثنين . وكانت تحوى ١,٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبرى البغدادى منها واحدة بخط المؤلف . وكان فيها ٦,٥٠٠ جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصةً و ١٨,٠٠٠ كتاب فى علوم الأقدمين . فضلا عن كرة من النحاس تمثل السماء بكواكبها من عمل بطلميوس القالوذى(٢) صاحب المجسطى (٣) وأخرى من فضة صنعها عبد الرحمن الصوفى الفلكى المشهور للملك عضد الدولة البُوَيهى . وهذه الكرة من ذخائر بغداد التى استحوذت عليها مصر كما امتازت أيضا بحيازة تاريخ الرسل والملوك الذى كتبه الطبرى بخط يده . فهل يكون من العجب إذا قلت إن الخليفة الفاطمى كان يكثر من التردّد على مثل هذه المكتبة البديعة فيجىء إليها راكبا ثم يترجل عندها ويجلس على دكة مخصوصة فينظر فى كتب العلم ويستعير منها ما يستفيد منه ؟

وكان من تقاليده أنه بعد فراغه من المطالعة يدخل اليها ويتمشى فيها لتشجيع الطلبة بالمخالطة وحضّهم على الاتقان بالمجالسة والمؤانسة .

تلك أيام قد خلت .

---

(١) هو الاسم العربى الصحيح لبلاد أشور (Assyrie)

(٢) Claude Ptolomée (٣) L'Almageste

ولكن التاريخ ما زال يعيد نفسه على الدوام . ولذلك ترجو الجامعة المصرية أن تعيد هذه الايام كرّة أخرى . وماذلك على الله بعزيز .

* * *

هذا كان شأن الشرق فى حضارة الإسلام . ولكن الغرب لم يكن أقل منه حظًّا . فلقد قضت نواميس العمران أن الحضارة تتولد وتنمو على شواطئ البحار وخصوصا على مجارى الأنهار . فكما كان لها شأن كبير فى أيام الأقدمين والإسلاميين على ضفاف النيل ودجلة والفرات كذلك كان للحضارة الإسلامية أثر مشكور على شواطئ الوادى الكبير (١) فلقد كانت قُرطُبة (٢) قاعدة الأندلس عروسا فى بلاد الغرب ومتبعا للعلم والفضل حتى أفاضت على ديار أوروبا تلك الأشعة الاولى من علوم الإسلام . أشعةٌ استنارت بها فى إبّان نهضتها أثناء القرون الوسطى وكانت كمقدمة تمهيدية لما وصلت إليه الآن مما صير الغرب مشرقا لنور العلم والتمدن فى هذه الأيام .

ماذا أقول عن قرطبة وقد أطبق العارفون على أنها كانت أكثر بلاد الدنيا كتبا ؟ أولم يأتكم حديث الفيلسوفين ابن رشد (٣) وابن زُهر (٤) حينما تناظرا بحضرة المنصور بن يعقوب ملك المغرب فى المفاضلة بينها وبين إشبيلية (٥) ؟ قال ابن رشد لصاحبه وهو يحاوره : « ماأدرى ماتقول . غير أنه إذا مات عالم باشبيلية فأُريدَ بيع كُتُبه حُمِلَتْ إلى قرطبة حتى تباع فيها . وإن مات مطرب بقرطبة فأُريدَ بيع آلاته حُمِلَتْ إلى إشبيلية »

وفى هذا المقام لا أرى مندوحة عن التذكير بأن الإسلام لم يكن خلوا من الجامعات . فقد اشتهرت بغداد بكثرتها وإن كان لها نظام غير المألوف الآن . وأشهرها المدرسة النظامية فقد تحدى بها أهل العراق صنيع المصريين الذين سبقوهم بتأسيس الازهر المعمور . غير أن القاهرة لاتزال تفتخر به إلى الآن . وكذلك كان فى البلاد الأخرى التى بسط الإسلام عليها رايته حينا من الدهر جامعاتٌ أخرى مثل التى كانت فى بَلَرم (٦) عاصمة صِقِلِّيَة (٧) وفى القيروان بتونس وفى معظم مدائن الأندلس . بل قد أوجدها فى غير البلاد التى دانت لسلطانه فان فرنسا مدينة للعرب بتأسيس وإنجاح أحد معاهدها العلمية الكبيرة . وأعنى به مدرسة الطب فى مونبلييه (٨) . هذه المدرسة التى لاتزال زاهرة يانعة إلى الآن مع أن

---

(١) Guadalquivir (٢) Cordoba, Cordoue (٣) Averrès
(٤) Avenzoar (٥) Seville (٦) Palerme
(٧) Le Sicie (٨) Montpellier

الجامعات الاسلاميـة قد دخلت فى خبر كان . نعم فان عرب الاندلس ويهودها هم الذين أدخلوا التعليم الطبي إليها وقد آستمر فيها مدة أربعة قرون تقريبا وأساسه تواليف آبن سـينا [١] وآبن رشد وقسطا بن لوقا [٢] وحنين [٣] وابنه إسحاق وآبن ماسويه [٤] والرازى [٥] حتى كانت سـنة ١٥٧٦ للميـلاد فاستبدل القوم أساتذة المشرق بالمعلمين اليونانيين عند ما عثروا على تصانيفهم الأصلية التى آهتدى العرب بنبراسها.

وهـذه مصر حينما شرعت فى إعادة العلوم إلى حظيرتها أوفدت عددا كبيرا من أبنائها لآغتراف العلم فى مونبلييه من ذلك المعهد الذى يعود فخاره الحقيق إلى أجدادنا الكرام . وها هى اليوم تستقدم الأساتذة من فرنسا وانكلترة وايطاليا ومن غيرها من البُلدان التى آمتازت بالعلم والفضـل .

والايام دول ونواميس الكون أخذٌ وعطاء .

* * *

نرجع للأندلس ونقول إن أهلها قاطبة قد توفروا على العلم لذاته ولذّاته . لافرق فى ذلك بين الغنىّ والفقير والصعلوك والأمير . بل كانوا كلهم سواسية فى التهافت عليه وعلى آقتناء الكتب لا للآفتخار ولكن للمذاكرة والمحاضرة . ولم يكن هذا الولع قاصرا على عامة الناس بل شاركهم فيه ملوكهم أيضا . فان الخليفة الحَكَم جمع لنفسه مكتبة خصوصـية آحتوت على ٤٠٠,٠٠٠ مجلد كلها من النفائس والغرر . هذا عدا المكاتب العمومية الحافلة التى آزدانت بهـا قرطبة وغرناطة [٦] وأمهات المدائن بالاندلس .

فإذا رجعنا أدراجنا إلى بلاد الشرق رأينا للإسـلام فى بلاد الشام هذا الأثر المحمود أيضـا . وحسبي أن أشير إلى المكتبة التى جمعها بطرابلس [٧] بيت من بيوت القضاة وهم آل عمّار فانها بلغت ٣,٠٠٠,٠٠٠ مجلد ولكنها قضى عليهـا نحس الطالع فذهبت كلها طعمة للنار . كما أبادت الفتن مكتبة القاهرة وكما دمّر التتر مكاتب بغـداد التى كانت فوق الوصـف والتعريف وفاقت كل ما سبقت الإشارة إليه . أحرق هؤلاء الهمج تلك المجاميع الثمينة وخلطوا كثيرا منها بالطين والمـاء وآستخدموا هذه العجينة الغريبة فى بناء جسر (كوبرى) الرور على نهر دجلة [٨] .

---

(١) Avicenne. (٢) Constantin fils de Luc. (٣) Johanitius.
(٤) Mesué. (٥) Razès. (٦) Grenade.
(٧) Tripoli (٨) Le Tigre

تلك أيام قد خلت .

فهل تعود للجزيرة[1] بهجتها السابقة وحضارتها الفائقة ؟

هذا ما نتمناه من صميم الفؤاد خصوصا وقد أخذت أسباب الإصلاح والعمار تتراجع إلى ما بين النهرين[1] فى هذه الأيام .

°
° °

بماذا تقدم الاسلام ؟

بالرحلة فى طلب العلم وتقييد أوابده ونشر فوائده .

فقد كان المسلم رهين الأسفار كما هو شأن الأمم الراقية الآن . كان المسلم كلما فارق دياره ولو على سبيل الكسب والتجارة فكأنما هو موكل بالاكتشاف والاستطلاع . يحمل إلى ما يزوره من البُلدان بضاعته المادية ومعها بضاعة أخرى غير مزجاة : بضاعة مضمونٌ لها الرواج وأعنى بها ما وصل إليه من حقائق العلوم وطرائف الآداب . وكان لا يغفل عن أن يسجل فى صحائف أسفاره ما يعثر به من ثمرات رقىّ القوم . حتى إذا انقلب إلى أهله كان قد أفاد واستفاد ونفع وانتفع وعلّم وتعلّم . وهذه فرائد اللغة العربية فى ألسنة الأمم المتمدنة شاهدة بما كان للمسلمين من الأثر الحميد فى بلاد الأمم الاخرى كما أن فى الكتب والعلوم التى أبقتها لنا تصاريف الايام من تراث أجدادنا الكرام كثيرا من الاصطلاحات الأجنبية الدالة على رواج سوق المعاوضات العلمية وعلى أن أهل النُّهى والبعيدى الأنظار لايستنكفون من تبادل الثمرات التى يصلون إليها من طريق البحث والدرس .

أما الآن وقد تعددت الصلات بين الشرق والغرب وسهل تناول الفوائد العلمية بفضل البخار والكهرباء فستكون جامعتنا إن شاء الله كحلقة اتصال بين العالَمَيْن حتى نأخذ بلا استكبار ما تلقّفه الفرنج عن أجدادنا ونضيف إلى سلسلة معارفنا حلقات جديدة لم يعرفوها وقد جاد بها الزمان على ما تقضى به نواميس الارتقاء .

هذه هى أيها السادة بعض الأسباب التى دعت هذه الجامعة إلى الابتداء بالابتداء . فقررت تدريس الحضارات الاسلامية والقديمة وأضافت اليهما أدبيات الجغرافية والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها بأوروبا .

---

(1) Mésopotamie

°
° °

نعم إن الشرق عاد بعد تلك الحركة الهائلة إلى سبات عميق فنزل إلى الحضيض . وبعد أن وقف فى مكانه ساكنا جامدا أخذ الآن يتنبه ويتحرك حركة خفيفة . فأبصر المعارف قد ترقت فى بلاد الغرب إلى درجة تتضاءل دونها القوى والأفهام . أحست أمم الشرق بما يتهددها من خطر الجمود والوقوف وأصبحت كلها وهى شاعرة بالحاجة الماسة إلى تلقى ثمرات العلوم التى وصلت إليها أوروبا وتمثيلها بما يوافق طبيعتها ومزاجها . فكانت اليابان فى الشرق الاقصى أول من نفض غبار الكسل والخمول ووصلت فى نصف قرن إلى درجة الأمم الراقية بل بذت كثيرا منها . وها هى الأمة المصرية فى الشرق الأدنى قد أدركت أيضا هذه الحاجة فهبت عن بكرة أبيها وتعاون أبناؤها لإحراز الفخار بالسعى فى إعادة القطر إلى مجده السابق . فأسست الجامعة المصرية التى ستعمل على إرجاع اللغة العربية إلى مقامها المجيد فى ميدان العلم وفى حلبة الامم .

وكيف لا تتوصل الجامعة المصرية لتحقيق هذه الغاية الكبيرة وقد هبت عليها نفحة من نفحات مولانا العباس : نفحة تضمن لمصر والإسلام عودة تلك الأيام الزواهر التى آزدان بها عصر بنى العباس .

فبسعد الخديو عباس تفتح الجامعة أبوابها للناس

volonté ; mais elle ne suffira pas : il nous faut celle des auditeurs, des étudiants ; il dépend d'eux que nous fassions une œuvre durable. Lorsqu'on crée une Université, Messieurs, on engage les temps futurs. Peut-être, et je le croirais, est-ce une très grande chose qui vient de se passer ici. Songez à ce qu'ont été Oxford pour l'Angleterre, pour l'Allemagne les Universités de Leipzig ou d'Iéna, pour la France l'Université de Paris, le Collège de France, pour l'Italie l'Université de Bologne. Ces noms dressent devant nous l'espoir d'un incalculable avenir et cet avenir est dans vos mains.

de tous les grands peuples. Cette réciprocité d'emprunts et d'influences fait qu'aucune littérature ne peut être isolée, et que, prises ensemble, elles constituent vraiment le patrimoine de l'humanité. « L'Esprit souffle où il veut », et ne connaît pas de frontières ; les différences de race, de langue, ne sont pas des obstacles insurmontables à la diffusion des idées. Elles n'arrêtent point ce qui est profondément, universellement humain. Aussi n'est-ce pas un paradoxe de prétendre qu'en littérature le mot « étranger », appliqué aux grandes œuvres, n'a pas de sens. Un ouvrage littéraire est grand par la part d'humanité générale qu'il contient. Shakespeare n'est pas plus un étranger pour les Italiens que le Dante pour les Anglais. Ce ne sont donc pas des littératures étrangères que nous venons enseigner, c'est *la* littérature, œuvre universelle. Nos chefs-d'œuvre nationaux appartiennent au monde entier, qui s'y reconnaît : ils sont à vous, Messieurs, autant qu'à nous.

Il est possible de voir, dès lors, quelle sera notre méthode d'enseignement. Nous ne ferons pas de notre cours une espèce de « manuel oral » excessivement abrégé, qui toucherait à tout et rapetisserait tout. Nous traiterons, aussi scientifiquement que possible, des choses et des temps qui doivent être le plus intelligibles et profitables à nos auditeurs, des œuvres où la pensée anglaise, ou française, a le mieux été un épanouissement de l'humanité. Ce sera à la fois une démonstration de méthode et un essai d'adaptation, pour ainsi dire d'acclimatation. N'ayant pas la prétention de leur faire découvrir nos littératures qu'ils connaissent déjà sans doute, nous serons seulement leurs guides dans cette promenade que nous ferons ensemble, des guides qui les avertiront du meilleur et du pire, mais qui surtout leur montreront, Messieurs, que partout où ils vous mènent, vous êtes chez vous.

Monseigneur, Messieurs, ce rôle est très noble, et digne des meilleures traditions des peuples que nous allons, selon nos forces, représenter parmi vous. La grandeur même, aussi la difficulté de ce rôle, la beauté de l'entreprise à laquelle vous nous avez associés, sont de puissants motifs d'être fiers de notre tâche, et d'avoir, pour ceux qui nous l'ont confiée, Monseigneur, des sentiments de reconnaissance qui ne s'effaceront point. Vous êtes assurés de notre bonne

le monde est immense, et ne diminuera jamais. Soyons donc prêts à nous plier aux circonstances, à changer de rôles. Et pour cela, il faut être aussi intelligents, aussi éclairés que possible ; il faut acquérir d'abord cette culture générale qui est la base inébranlable de toute belle vie : avant d'être des hommes de métier, il faut être des hommes.

J'ai dit, et vous savez comme moi, l'influence qu'a eu l'antiquité sur l'Europe moderne. Les Grecs et les Latins ont fait notre Renaissance ; à notre tour nous devons faire celle de l'Egypte. Les situations sont un peu semblables ; mais l'Egypte a le bonheur singulier d'avoir pour l'aider, non pas seulement des livres, comme notre XVI^e^ siècle, mais des peuples vivants et bienveillants. L'Italie, l'Angleterre, la France, ont conservé le meilleur de l'héritage antique, et l'ont accru de toute la pensée moderne. Voilà vos Antiques, Messieurs, plus riches d'expérience, et plus près de vous que n'étaient les nôtres. Pour retrouver les nôtres, il nous a fallu un siècle d'érudition et des milliers de hasards heureux. Il vous suffit, à vous, de quatre jours de mer, en bateaux à vapeur !

Ce n'est pas le lieu de rechercher ici quelle sera l'action exercée par le génie particulier de chaque peuple. Des liens sans nombre relient entre elles les littératures européennes. Sur la plupart, par exemple, l'influence française est depuis longtemps prédominante ; mais la France, à son tour, leur doit beaucoup. Sans doute elle sème à travers le monde plus d'idées et de formes d'art que personne, mais elle est aussi hospitalière. Mieux que personne elle a su recueillir les plus précieuses reliques des peuples disparus. Seules nos classiques remplaceraient les Anciens, si rien pouvait remplacer ces maîtres inimitables. Plus que personne elle a accueilli les inventions étrangères : il n'y a pas une idée au monde qui n'existe sous une forme française ; il en est peu qui n'y aient pas gagné. Elle a tout compris, tout ressenti, tout traduit, et tout transformé. Et plus d'une fois les peuples étrangers ont repris d'elle, après cette élaboration, ce que jadis elle avait tiré d'eux. Ainsi s'est formée cette université de la littérature française, qui n'est contestée par personne. J'ai pris cet exemple, Messieurs, parce qu'il m'est familier entre tous ; mais, sauf les proportions, c'est là l'histoire commune

une à une les croyances, les rêves, les idées qui nous ont tour à tour enchantés, transportés, transformés ; et quand ils auront ressenti l'ardente aspiration au beau, au vrai, le frémissement de vie qui anime nos grandes œuvres, nous pourrons alors nous féciter d'avoir fait payer en eux le génie du vieux monde.

Mais, Messieurs, où donc est écrite cette incomparable histoire de l'Esprit, sinon dans la littérature ? Toutes les péripéties de la grande tragédie que vit l'homme, toutes les formes de la pensée, plus grande encore, qu'il poursuit, ne se retrouvent-elles pas, fixées pour toujours par les plus belles expressions, dans la littérature ? Les études littéraires portent dans mon pays un admirable nom : elles s'appellent les humanités. Et l'on pense généralement qu'elles nous transmettent le meilleur de ce que furent les hommes d'autrefois, et qu'elles seulent sont capables de faire de nous des hommes. Elles seules, en effet, peuvent donner à l'esprit cette large et fine conception des choses, cette familiarité avec toutes les idées, cette aptitude à tout comprendre, en un mot cette culture générale, qui fait la supériorité des vieilles nations, et qui donne à chaque homme sa valeur véritable. On reproche parfois aux humanités de n'être indispensables à aucune profession, de n'être d'aucun secours aux médecins pour guérir leurs clients, aux avocats pour tirer les leurs d'affaire. Messieurs, c'est leur plus grand mérite, de ne mener spécialement à rien, et d'être utiles à tout. Un avocat qui sait combien peut varier l'idée du droit, un médecin qui connaît l'histoire des sciences naturelles, leur influence sans cesse grandissante, n'auront-ils pas un esprit plus compréhensif, plus capable de progrès que de simples spécialistes ? Et puis, Messieurs, on n'est pas médecin, avocat, ingénieur à tous les moments de sa vie, à moins d'être souvent un sot. Il y a des heures où il faut s'élever au-dessus de son métier, si l'on ne veut pas être au-dessous de son rôle d'homme, ne serait-ce que pour diriger sa famille, ou pour servir son pays. Que vaudrait une nation où il n'y aurait que des artisans, des marchands, et pas un citoyen ? Enfin, Messieurs, les partisans des spécialités exclusives oublient que nul n'est maître de sa destinée. Tel qui voulait être professeur est devenu industriel, tel autre de marin s'est fait romancier. La part du hasard dans

qu'elle envoie en Europe, et qui seraient ses meilleurs élèves. Quant à l'enseignement des sciences, on a dû l'ajourner : une Faculté des Sciences ne s'improvise pas : il faut beaucoup de temps et d'argent pour constituer des laboratoires, il faut un personnel spécial, et encore des dépenses, pour les manipulations et expériences, accessoires indispensables des cours scientifiques. Une telle organisation, pour une première année, était impossible, et, le dirai-je, Messieurs, cette impossibilité, à mon sens, est heureuse. Nous tendons presque tous aujourd'hui en Europe comme en Egypte, vers une espèce de religion de la Science, qui au fond n'en est que la superstition. On est ébloui par les résultats des sciences appliquées, par l'industrie, par le continuel miracle des inventions ; et peu s'en faut qu'on ne prête à la science, dès à présent, une toute puissance divine, qu'on ne la croie seule capable de former, tout d'un coup, les esprits jeunes et les peuples nouveaux. Eh bien, la science peut tout, excepté cela. Il y a plus ; la science a besoin d'esprits longuement et minutieusement façonnés par d'autres études. Voyez l'Europe. Durant de longs siècles, elle n'a pas connu ces sciences appliquées qui vous séduisent ; mais les écrivains, les penseurs, mais l'étude surtout des littératures antiques l'habituaient à l'effort intellectuel, à la réflexion philosophique. C'est de cette patiente éducation de la raison, c'est de cette pénible recherche de la vérité qu'est sortie la science. Comme toute l'Europe actuelle, elle est le magnifique aboutissement d'un travail séculaire, et si nous l'aimons, c'est qu'elle nous a coûté cher. Elle doit toujours coûter cher. Pour y atteindre, aujourd'hui encore, il faut accomplir de nouveau, pour soi, le lent progrès des générations antérieures, il faut, homme ou peuple, refaire l'histoire intellectuelle de l'humanité. Faute de cette préparation, on ne comprend pas vraiment la science ; on s'étonne de ses prodiges, on désire ses avantages pratiques, bref, on la rabaisse à n'être qu'un jeu lucratif d'enchanteurs, qu'un art de faire des tours plus déconcertants et plus profitables que ceux des baladins. Evitons donc cette déformation dégradante, ce dangereux semblant de modernisme. Apprenons aux peuples jeunes comment nous nous sommes donné cette civilisation, qu'ils croient trop facile à atteindre. Dévoilons-leur nos efforts, nos tâtonnements, nos déceptions, nos succès, toute la dramatique histoire de l'Esprit ; faisons-leur comprendre

DISCOURS

DE M. ALBERT PAUPHILET

Professeur de littérature française à l'Université

Monseigneur,

Messieurs,

Après les exposés qu'on vient d'entendre, il n'y a rien à ajouter : je ne saurais plus rien vous apprendre sur l'Université passée, présente, future même. Peut-être, cependant, vous demanderez vous ce que viennent faire des professeurs européens dans cette œuvre égyptienne ; c'est notre présence, et notre rôle parmi vous, que je voudrais vous expliquer encore, en quelques phrases brèves.

Monseigneur, Messieurs, en créant cette Université, vous avez donné aux Européens mêmes une grande leçon. Vous vouliez préparer une Egypte nouvelle, réveiller le pays de ce long sommeil qui a envahi tout l'Orient, et vous l'avez d'abord doté d'un enseignement supérieur. En vérité, l'on ne saurait mieux commencer. Vous êtes allés à ce que l'Europe civilisée pouvait vous offrir de plus noble, et de plus profitable.

Oui, Messieurs, la grande gloire de l'Europe, c'est la pensée, qui y fleurit depuis des siècles, pour l'humanité tout entière. Depuis des siècles nous avons des artistes, des savants, des philosophes ; et si leurs œuvres et leur exemple nous restent toujours présents, c'est grâce à l'enseignement public. Plus que personne, ce sont les maîtres de l'enseignement supérieur qui nous transmettent le flambeau de vie allumé par nos pères et nous montrent à en perpétuer la lumière à notre tour. Aucune institution, si l'on considère d'ensemble l'histoire de l'esprit, n'est plus haute en dignité que cet enseignement supérieur, que vous venez de donner à l'Egypte.

L'Université naît, sous la forme d'une Faculté des Lettres encore restreinte, mais destinée à se développer. Souhaitons que dans l'avenir le plus proche, elle puisse compléter le cycle de ses cours littéraires, et conserver ici les étudiants ès-lettres

les fruits de la science éclose des semailles fécondes qu'ont répandues nos ancêtres. Nous forgerons ainsi de nouveaux chaînons, qu'ignoraient nos pères et qui sont sortis du creuset du progrès.

Telles sont, Messieurs, les raisons qui ont engagé l'Université à remonter au commencement, en décidant qu'elle enseignerait l'étude des civilisations musulmanes et antiques à laquelle elle ajoutera celle de la littérature géographique, historique et littéraire des arabes, par rapport à ses relations avec les peuples d'Occident.

***

Après ce mouvement étonnant, l'Orient retombait dans une léthargie profonde et descend au périgée. Pendant des siècles il demeure inerte ; mais le voici qui se réveille. Il s'aperçoit que les sciences ont atteint de nos jours un développement si prodigieux dans les pays d'Occident, que ses connaissances sont éclipsées par ce progrès. Les peuples d'Orient sentent le péril qui les menace et comprennent enfin la nécessité d'accueillir et de s'assimiler les conquêtes intellectuelles de l'Europe.

En Extrême-Orient le peuple japonais a été le premier à secouer sa torpeur, et il ne lui fallut pas un demi-siècle pour s'élever au rang des nations les plus civilisées.

Plus près de nous, le peuple égyptien, lui aussi, a compris son devoir. Groupant ses efforts, il a fondé l'Université Egyptienne dont la noble tâche sera de rendre à la langue arabe une place digne de celle qu'elle occupait jadis dans le domaine des sciences et dans le monde.

Alors l'Egypte reprendra sa noble position du temps des Pharaons, des Ptolémées et des Khalifes. Est-il permis de douter qu'un jour viendra où l'Université aura la satisfaction de voir sa mission remplie, puisqu'elle a pour vivre et triompher le haut patronage de notre illustre Khédive, dont le nom même est d'un heureux augure pour ceux qui voudraient rendre à l'Egypte et à l'Islam les beaux jours qui marquèrent le siècle glorieux des Abbassides.

Sous le patronage du Khédive Abbas, l'Université Egyptienne ouvre ses cours au public.

(*Traduction*)

ble à l'heure présente s'éveiller de son sommeil et renaître à la vie matérielle, à l'aide des réformes dont elle sera bientôt le théâtre.

***

Quel a été le point de départ des progrès accomplis par l'Islam ? — Le voyage.

Si cette doctrine a pu s'étendre au delà des limites les plus lointaines, en semant sur son passage les bienfaits de son génie, c'est qu'elle a progressé par les voyages accomplis pour la conquête de la science, pour sa culture, pour sa vulgarisation.

De même que dans les pays cultivés d'aujourd'hui, tout musulman d'alors s'adonnait aux pérégrinations. Lors même que seuls ses intérêts matériels ou son négoce l'appelaient loin de son foyer, il se considérait toujours comme chargé de quelque mission scientifique. Avec son double bagage de marchandises et de connaissances, il parcourait le monde semant et récoltant, étudiant les plus belles choses, et en gardait le souvenir pour le plus grand profit de ses compatriotes.

Il revenait à son pays instruit de ce qu'il avait vu, aimé pour ce qu'il avait appris aux autres, après avoir profité lui-même, après s'être rendu utile, pour la plus grande gloire de la civilisation et de la langue arabes.

Grâce à ces efforts incessants, notre idiome a semé dans la langue des peuples étrangers un nombre considérable d'expressions qui témoignent de l'action bienfaisante de la civilisation musulmane.

D'autre part, les débris des livres ou études qui nous sont parvenus, après tant de vicissitudes, glorieux héritage de nos ancêtres, contiennent en abondance des termes étrangers dont le nombre dénote l'intensité remarquable des transactions intellectuelles de cette époque reculée, et qui prouve que les grands hommes d'alors ne dédaignaient point de se prêter un mutuel appui dans la conquête de la science. Aujourd'hui que la vapeur et l'électricité ont rendu plus faciles les relations de l'Orient à l'Occident, il est devenu plus aisé de recueillir les fruits de l'esprit humain qui poussent sous d'autres latitudes.

Notre Université deviendra donc, nous l'espérons, le trait d'union intellectuel entre les deux mondes ; ce sera le foyer nouveau de la lumière qui recevra sans amertume de l'Europe

dans ce foyer qui doit sa gloire à nos ancêtres. Aujourd'hui elle appelle les maîtres, non seulement de France, mais de tous les autres pays qui se distinguent par leur savoir et leur génie. Simple retour des choses, suivant les règles immuables de ce monde.

***

Revenons à l'Espagne pour dire que c'est par amour de la science, pour le plaisir qu'elle procure aux âmes d'élite que les Maures se livrèrent à l'étude. Tous avaient cette passion ; riches ou pauvres, tous attachaient un grand prix aux collections de livres, non point par un vain esprit de parade, mais pour élargir le cercle de leurs connaissances et contribuer au développement de leur jugement.

Les Souverains ne faisaient point exception. Le Khalife el Hakam n'a-t-il pas réuni pour son propre usage une collection de 400.000 volumes, tous heureusement choisis, et qui, avec les bibliothèques publiques, regorgeant de livres, constituaient une des gloires de Cordoue et des principales villes de l'Espagne musulmane ?

***

En Syrie, pour revenir à l'Orient, l'Islam avait exercé une influence non moins brillante.

Je ne puis abandonner ce terrain sans évoquer le souvenir de cette fameuse bibliothèque, formée à Tripoli de Syrie, par une seule famille de Cadis, les Beni Ammâr, et qui ne comprenait pas moins de trois millions de volumes. Pourquoi cette merveilleuse collection devint-elle, hélas ! la proie des flammes ?

Un sort plus malheureux encore avait détruit les bibliothèques de Bagdad qui avaient sans doute dépassé tous ces chiffres. En effet l'invasion des Tartares, ces Vandales d'Orient, avait tout ruiné en pénétrant dans la capitale du Khalifat. Le feu consuma un grand nombre de ces précieux documents ; d'autres mêlés à l'argile et à l'eau servirent à construire un pont sur le Tigre.

Cette Mésopotamie reprendra-t-elle jamais son ancienne gloire ; assistera-t-elle à la résurrection de ses splendeurs passées et jouira-t-elle à nouveau des bienfaits de la magnifique civilisation arabe ?

Nous le souhaitons ardemment, d'autant plus qu'elle sem-

civilisation nous en viennent, comme d'un autre Levant.

Cordoue ! C'est elle qui détenait le privilège, entre toutes les villes d'Europe soumises à l'Islam, de posséder un nombre prodigieux de collections bibliographiques, les plus complètes ; c'est elle qui inspira au grand Averroès sa boutade fameuse, lorsqu'en présence de Mansour Ben Yacoub, Souverain du Moghreb, l'illustre Avenzoar lui contestait la suprématie de cette métropole en la reportant sur Séville. « Je ne sais, lui dit-il, ce que tu veux dire. Mais s'il meurt à Séville un savant et que l'on veuille vendre ses livres, on les porte à Cordoue où il est facile de leur trouver un débit assuré ; tandis que s'il meurt un musicien à Cordoue, c'est à Séville qu'on va vendre ses instruments ! »

D'ailleurs, Cordoue ne fut pas le seul centre intellectuel de l'Islam, puisqu'il comptait alors nombre d'universités célèbres.

Puis-je taire à ce sujet, celle de Nizamieh qui fut, entre tant d'autres, la plus glorieuse de Bagdad.

Les habitants de la Mésopotamie avaient copié dans cette belle voie les Egyptiens qui les avaient devancés par la création du célèbre el Azhar qui constitue encore aujourd'hui une des gloires de la capitale de l'Egypte. De même, dans les diverses contrées soumises à la loi du prophète, on rencontrait d'autres universités, non moins fameuses, comme celles de Palerme, capitale de la Sicile, de Kaïraouan, en Tunisie, et de la plupart des villes de l'Espagne arabe.

Faut-il rappeler que c'est aux musulmans que la France doit la fondation et les premiers succès d'un de ses centres intellectuels les plus illustres : la Faculté de médecine de Montpellier ? Cette école subsiste toujours tandis que les universités musulmanes sont rentrées depuis longtemps dans l'obscurité. Oui, ce sont les Arabes et les Juifs d'Espagne qui y ont introduit l'enseignement médical. Car Avicenne, Averroès, Constantin (fils de Luc), Honein (le Johannitius des documents latins), son fils Isaac, Mesué, Razès, y formèrent pendant environ quatre siècles la base essentielle de l'enseignement. C'est seulement vers l'an 1567 que les auteurs arabes, que l'on étudiait en latin, furent définitivement remplacés par les auteurs grecs que l'on venait de découvrir et qui avaient été les premiers guides des arabes eux-mêmes.

L'Egypte, lorsqu'elle a commencé à se régénérer, a envoyé un grand nombre de ses fils puiser la science à Montpellier,

bibliothèque fatimite du Caire. 1200 manuscrits, dont un autographe de la grande chronique de Tabari de Bagdad, 6500 traités d'astronomie, de l'art de bâtir, de philosophie, 1800 volumes traitant des sciences anciennes ainsi qu'un globe céleste en cuivre dû à l'illustre astronome grec, Claude Ptolémée, l'auteur de l'Almageste, et un autre en argent confectionné par le célèbre astronome musulman Abd el Rahman el Soufi et dédié au prince Bouhide Adoud el Dawlat, tels étaient quelques-uns des principaux joyaux de cette rare collection.

Cette dernière relique, jointe à l'autographe de Tabari, constituaient deux glorieux trophées que l'Egypte avait conquis sur Bagdad.

Aussi n'est-il pas étonnant de voir le Khalife Fatimite se rendre fréquemment à cette bibliothèque.

Il y venait à cheval, mettait pied à terre sur le seuil et s'asseyait sur un banc spécial où il prenait plaisir à feuilleter les livres de science. Il empruntait les volumes qui présentaient pour lui un intérêt spécial. Puis il pénétrait à l'intérieur des salles, se mêlait à la foule de ceux qui venaient y puiser des lumières, s'asseyait au milieu d'eux et par des propos familiers les encourageait à l'étude.

Ces beaux jours sont passés, il est vrai, mais comme l'histoire n'est qu'un éternel recommencement, l'Université espère en ramener de pareils, à force de labeur et d'action féconde.

***

Tel est un coin du tableau : l'Orient.

Mais l'Occident ne fut pas moins favorisé par la civilisation de l'Islam.

Soumise en cela à une règle générale d'adaptation, la civilisation naît et prospère sur les rivages des mers et notamment sur les bords des fleuves.

De même qu'elle avait atteint, dans l'antiquité et sous l'Islam, un éclat remarquable sur les rives du Nil, du Tigre et de l'Euphrate, de même, la civilisation a brillé d'une façon particulièrement glorieuse sur les bords du Guadalquivir.

Cordoue, capitale de l'Espagne mauresque, et longtemps la reine de l'Occident, fut le centre intellectuel qui rayonna sur l'Europe méridionale, et dont la lumière inonda l'Occident d'un éclat si magique qu'aujourd'hui la science et la

Alors, comme la ruche au doux miel, appelle la horde des abeilles, la capitale des Fatimites attira bientôt dans son sein les amants de la science.

De même qu'autrefois la terre des Pharaons avait âprement disputé à l'Assyrie, la suprématie politique et intellectuelle, de même la vallée du Nil, conquise à l'Islam, eut maintenant pour rivale dans ce domaine, l'Iràg soumise à la loi du Prophète.

Cette rivalité littéraire et scientifique, qui longtemps divisa le Caire et Bagdad, atteignit une intensité qui impose l'admiration.

Les deux capitales de l'Islam, jalouses de garder le privilège du mérite et des hommes de génie, se disputaient les savants, s'arrachaient les productions scientifiques.

Voici d'ailleurs une preuve éloquente entre toutes de cet état d'esprit : Un jour la Mésopotamie musulmane délègue un émissaire en Egypte et le charge de négocier avec un savant du Caire pour l'acquisition d'un merveilleux trésor bibliographique de 10.000 volumes, qui représente le tiers de sa collection. La nouvelle de ce marché honteux pour l'Egypte, parvenant aux oreilles du Ministre, el Afdal, celui-ci s'indigne d'un acte qu'il juge humiliant pour la dignité du pays.

Comment pourrait-il consentir à laisser priver l'Egypte de ses richesses et à l'en voir dépouiller ? Serait-il admissible que de pareils trésors émigrent vers d'autres régions, alors que les Egyptiens en apprécient toute la valeur? Ne pouvant accepter ce sacrifice, le ministre fait remettre au savant, et de ses propres deniers, toute la somme offerte par l'émissaire de Bagdad,ordonne de transporter la précieuse collection à sa propre bibliothèque et d'inscrire sur chaque volume son nom et ses titres.

Un peuple qui compte dans son sein un savant comme celui dont l'histoire nous vante l'érudition remarquable, et un ministre comme celui dont elle nous dépeint l'amour de la science comme assez vif pour l'amener à remuer ciel et terre en vue de conserver à son pays le tiers d'une aussi précieuse collection, ce peuple dis-je, n'a-t-il pas le droit de revendiquer hautement la gloire d'avoir possédé dans le palais de son Khalifat la bibliothèque la plus riche de tout l'empire de l'Islam, qui seul existait alors.

Car, un million et six cent mille, d'aucuns même disent deux millions et six cent mille volumes composaient la

DISCOURS

D'AHMED ZÉKI BEY

Membre du Conseil
et
Secrétaire de l'Université

Altesse,

C'est parce que Votre pays fut le berceau de la civilisation et de la culture intellectuelle que l'Université égyptienne se devait de débuter par l'exposition des splendeurs de l'histoire d'Egypte dans l'antiquité et de ses fastes sous l'empire de l'Islam. C'est ainsi qu'elle compte préparer les succès auxquels elle espère atteindre, en se consacrant au service de la patrie pour reconquérir à notre langue nationale les sciences dont elle fut sous les Haroun et les Almamoun le merveilleux instrument. Ce but, l'Université ne peut manquer de le réaliser, puisqu'elle a reçu des témoignages précieux de la haute sollicitude de notre Souverain Abbas II.

***

Née sur les rives enchanteresses de notre Nil, la civilisation a produit ses plus beaux fruits sous le règne des antiques Pharaons, et les vestiges laissés par ces monarques, qui ont survécu aux vicissitudes des temps, nous proclament de saisissante façon les merveilles de cette antiquité, dans le domaine de la science, de l'industrie et de l'art.

Chaque jour soulève un pli du voile derrière lequel s'abritaient les mystères de leurs connaissances et des progrès par eux accomplis, et ce spectacle unique dans les annales de l'histoire attire sur nos glorieux ancêtres l'admiration enthousiaste du monde civilisé.

Sous les Lagides, la ville d'Alexandre revendique à titre de monopole l'honneur d'être le foyer incontesté de la science, le centre intellectuel de l'Univers, dont l'éclat tisse à notre pays une auréole de gloire que ne put jamais ternir l'indifférence ou le chaos des siècles.

Mais voilà que le drapeau de l'Islam s'est levé ; le Caire a surgi des sables d'or du désert, après Thèbes, après Memphis, après Héliopolis.

échelon qui conduit à l'apogée de la gloire et de la puissance, et c'est cet événement que nous fêtons.

A Vous, Maître du pays et Souverain du peuple, l'Université présente sa respectueuse reconnaissance, pour les bienfaits dont vous avez bien voulu la gratifier, bienfaits qui ont réalisé l'espoir de ceux qui espéraient et chassé la crainte de ceux qui redoutaient l'insuccès.

Tous ceux qui chérissent leur pays garderont, pieusement gravé au fond de leur cœur, le souvenir de Votre Auguste présence à cette fête, qui constitue le témoignage éclatant de Votre sollicitude passée ainsi que celui de Votre haute satisfaction pour l'œuvre accomplie. Puisse le Ciel exaucer les vœux que Vous formez pour le bonheur de Votre peuple, et sur Votre tête répandre ses bienfaits.

(*Traduction*)

Abordant la réalisation de ce programme, le Conseil a fait partir, au commencement de l'été dernier, un groupe de jeunes étudiants qui, à l'heure actuelle, dispersés dans les villes d'Europe où l'on cultive la science, se livrent à l'étude, cueillant une riche moisson dont les semailles à leur retour au pays natal, féconderont notre sol et lui feront porter de riches et beaux fruits.

Ces jeunes gens constitueront bientôt notre état-major, ils apporteront leur pierre à l'édifice commun ; ils seront la gloire de notre Université ; c'est en eux que nous plaçons notre confiance et notre espérance.

Ce sera là sans doute une œuvre de longue haleine. Aussi, pour hâter la floraison qui doit suivre l'éclosion de notre œuvre, a-t-il été décidé de confier dès maintenant à quelques savants, la mission de professer l'enseignement des connaissances qui, malgré leur importance, n'ont point encore eu leur part de sollicitude, en dépit de l'action féconde qu'elles exercent dans le développement des intelligences et le relèvement du niveau intellectuel.

Ces peuples pour qui vient de sonner le réveil ne peuvent qu'imiter les nations dont la civilisation a atteint l'épanouissement le plus complet ; et d'autre part, il importe, si l'on veut se laisser guider par l'exemple des autres nations, d'en connaître les méthodes, la mentalité, l'évolution ; aussi l'Université a-t-elle obéi aux principes de la raison, en décidant qu'elle donnerait à ses étudiants l'enseignement des littératures des deux peuples dont les langues se sont le plus répandues en Egypte, c'est-à-dire des littératures française et anglaise.

En outre, elle a reconnu, qu'Université Egyptienne, elle se devait d'inscrire en tête de son programme l'étude de l'histoire des civilisations antiques en Egypte et en Orient, ainsi que celle de la civilisation musulmane, dont les gens de mérite ne peuvent évoquer le souvenir sans admiration et respect. Qui pourrait revendiquer avec plus de titres que les Egyptiens le droit de connaître les merveilles d'une époque dont l'étude contribuera à leur relèvement et leur rendra la place prépondérante occupée par leurs ancêtres.

Aujourd'hui nous célébrons le premier effort tenté par le peuple égyptien, pour s'élever au niveau des nations les plus cultivées.

Nous avons fait le premier pas pour gravir le premier

désapprouvé le noble but, mais parcequ'à ces hommes il manquait la confiance, et que timorés, ils craignaient pour les courageux apôtres de la science nationale des lendemains désastreux dont ceux-ci pouvaient s'épargner la honte.

Les autres avaient la foi ; ils se disaient, ceux-là, qu'une cause aussi noble ayant pour champion tout le pays, sa richesse et sa vigueur, ne pouvait avorter.

Les faits ont démontré que les Egyptiens étaient dignes de l'œuvre qu'ils ont entreprise.

Ils ont fait preuve d'une générosité que n'ont point réussi à battre en brèche les mauvais jours de la crise qui s'est abattue sur le pays. Aussi la sympathie de tous ceux qui ont l'amour du progrès et de la science va-t-elle à ces cœurs nobles et patriotes.

Cependant les concours, les libéralités sans nombre qui sont venus à lui n'eussent point suffi à la réalisation de ce projet grandiose.

Alors, tandis qu'il venait à peine de naitre, sur son berceau s'est penché Celui dont le souffle devait lui donner son âme.

S. A. le Khédive, notre Auguste Souverain daignait accorder à la jeune Université un témoignage éclatant de Sa sollicitude paternelle, en la plaçant sous Son haut aptronage, sous la présidence d'honneur de Son bien-aimé fils, le Prince héritier, et sous la présidence effective et éclairée de Son oncle, S. A. le Prince Ahmed Fuad Pacha. Enfin Son Altesse, obéissant à Ses nobles aspirations qui Lui font entrevoir le bonheur et la prospérité de Son peuple, a bien voulu décider qu'un subside annuel serait accordé à cette œuvre d'intérêt national.

Grâce à cet illustre patronage et sous d'aussi glorieux auspices l'Université a pris corps, a rédigé son programme, arrêté ses statuts. Son Conseil d'Administration a assumé la charge de préparer son entrée dans le monde intellectuel et d'arrêter les détails de sa vie qui commence.

L'enseignement devant y être donné en langue arabe, le Conseil a décidé d'envoyer en Europe des missions universitaires, comprenant l'élite de la jeunesse du pays, dont les membres achèveraient leurs études dans les centres intellectuels les plus célèbres d'Occident, et qui, plus tard, munis des plus hauts grades, viendraient professer en langue arabe, à l'Université, les différentes sciences dans lesquelles chacun d'entre eux se serait spécialisé.

de le guider, de l'élever au niveau des nations civilisées, noble rêve qu'il ne sera possible d'atteindre que si ses enfants s'adonnent à l'étude par amour de la science et non point par nécessité, avec l'unique désir d'acquérir les notions indispensables pour gagner la vie.

Elle a assisté au spectacle des merveilles qu'en d'autres pays engendre le génie des savants.

Quelle magnifique floraison de découvertes nous arrive d'Europe, alors que nous nous contentons d'une goutte de cet immense océan de savoir ! A quel essor prodigieux se livre l'esprit inventif de ces hommes de science, et dont nous nous bornons à demeurer les simples spectateurs !

L'Egypte a senti qu'il était indigne de son passé intellectuel qu'elle fût à charge aux autres nations et demeurât privée plus longtemps de cette Université qui seule peut et doit lui procurer cette pléiade d'hommes instruits qui sauront lui rendre un éclat pareil à celui dont elle avait le droit de s'enorgueillir autrefois.

Elle a compris tout son devoir ; elle l'a médité ; puis se levant spontanément elle a conçu le rêve de confier à l'Université cette mission du relèvement national qui venait de lui apparaître.

Cette œuvre, cette mission, c'est à l'Université qu'elle l'a confiée. Comme un rêve magnifique son devoir lui est apparu : prendre par la main l'élite de ses enfants, les conduire sur le chemin du progrès, leur ouvrant les yeux à la beauté, à la vérité, à la science.

Insuffisamment consciente de sa force, la nation tourna d'abord ses regards vers le Gouvernement ; mais elle comprit bientôt que celui-ci avait d'autres devoirs, non moins impérieux, et qu'à lui seul il ne pouvait opérer cette régénérescence du peuple par l'instruction.

L'exemple si glorieux des autres nations, dont l'essor intellectuel a puisé sa source dans la foi, dans la générosité des populations pour la science, bien plus que dans un patronage gouvernemental, qui presque toujours s'est borné à un appui moral et rarement matériel, cet exemple dis-je, a convaincu la nation qu'elle devait elle-même se faire le champion de son idée et en préparer la réalisation.

Hélas, comme il arrive toujours en pareille circonstance, il s'est trouvé des hommes pour juger sévèrement ce magnifique élan, non pas que leurs cœurs de patriotes en aient

DISCOURS

D'ABDEL KHALEK SERWET PACHA

MEMBRE DU CONSEIL DE L'UNIVERSITÉ

MONSEIGNEUR,

L'histoire de l'Université constitue une des pages les plus belles de Votre œuvre glorieuse ; elle est l'éloquente expression des généreuses aspirations de Votre Altesse au relèvement et à la prospérité du pays. Si le peuple égyptien tout entier s'est levé pour travailler à la résurrection de la science, c'est qu'il en a reçu l'inspiration des marches de Votre trône, et c'est là la véritable raison des progrès accomplis par le culte du savoir, au sein des classes les plus diverses de la nation. Aussi le pays fait-il preuve d'une saine émulation tant dans la création de maisons d'éducation, que dans l'empressement avec lequel chacun apporte son obole pour le succès de cette œuvre nationale.

Mais là ne s'arrêtent point ses aspirations ; son rêve est d'occuper, dans le concert des peuples, le rang d'honneur auquel lui donne droit son glorieux passé.

Le peuple s'est rendu compte que l'éducation scientifique qui se donne actuellement en Egypte continue à être pratique n'ayant d'autre objet que celui de former la jeunesse et de la rendre apte à faire face aux besoins particuliers du pays, de former des praticiens travaillant dans des branches exclusives, et que le cycle de l'enseignement y a été limité à l'étude des connaissances indispensables à la réalisation de cet objectif.

Il a remarqué que l'Egypte n'avait pas d'établissement scientifique qui permît à ceux qui désiraient recevoir une culture intellectuelle supérieure de venir y puiser les lumières de la science.

La nation a compris qu'il lui manquait cette catégorie de savants, dont l'érudition n'est pas moins nécessaire pour le pays que ne le fut jadis cette génération de praticiens habiles ; elle a compris que le moment est venu de former une jeunesse instruite, capable de tendre la main au peuple,

DISCOURS

DE SON ALTESSE LE KHÉDIVE

Monsieur le Président,

Messieurs les Membres,

Depuis le jour où le projet en a été conçu, l'Université Égyptienne M'a causé une satisfaction des plus vives.

Aujourd'hui, Je me réjouis de saluer la réalisation de ce projet, qui arrive à son heure, car Je la considère comme le couronnement du système qui a été établi pour l'instruction publique par Mon illustre aïeul Mohamed Ali et développé par Mes glorieux ancêtres.

Je vous adresse Mes remerciements ainsi qu'à tous ceux qui, par leur savoir, leur travail ou leurs offrandes, ont contribué à doter Notre chère patrie de cet important foyer scientifique auquel Je souhaite les succès les plus complets. Soyez persuadés qu'il sera, tant de Ma part que de celle de Mon Gouvernement, l'objet constant de Notre bienveillance et de Notre sollicitude.

J'ai le ferme espoir que les Egyptiens de cœur et fortunés lui continueront leur généreux concours afin que Mon peuple puisse en tirer tous les résultats qu'il en attend.

Je M'associe, Monsieur le Président, aux sages conseils que vous avez donnés à la jeunesse égyptienne et Je suis sûr qu'elle agira avec persévérance pour mériter Ma confiance et celle du pays.

Au nom de Dieu, source de toute science, Je déclare ouverte l'Université, en faisant les vœux les plus ardents pour qu'elle puisse profiter à tous ses étudiants sans distinction de nationalité ou de religion.

(*Traduction*)

DISCOURS

DU PRINCE AHMED FOUAD PACHA

Président du Conseil de l'Université

Monseigneur,

Au nom de l'Université Égyptienne, je dépose aux pieds de Votre Altesse nos hommages les plus respectueux, car c'est à vous, Monseigneur, que l'Université doit sa naissance.

Nous n'ignorons pas, certes, que cette grande œuvre subira nombre de transformations avant de prendre sa forme définitive. Mais nous n'avons épargné aucun effort pour l'asseoir sur des bases solides, afin que, reposant sur des fondations stables, l'édifice futur puisse répondre aux nécessités de l'avenir.

Le jour est venu, en effet, où la jeunesse égyptienne doit recevoir les bienfaits de l'enseignement scientifique dans la ville même du Caire, sans être obligée de s'expatrier vers ces foyers intellectuels lointains qui, grâce à la science, occupent dans l'échelle du progrès une place prépondérante.

Je forme les vœux les plus ardents pour que l'Université Égyptienne profite aux étudiants en général, et à la jeunesse égyptienne en particulier.

Si nous avons abordé la réalisation de cette œuvre, qui nous a coûté tant de longues veillées, c'est dans le but d'élever le niveau de cette jeunesse.

Il ne nous suffit pas qu'elle soit intelligente, active et laborieuse, il faut qu'elle ait cette suite dans la conduite, et cette longue patience qui seules finissent par assurer le succès.

Elle les aura, nous n'en doutons pas, et elle voudra justifier ainsi l'espoir que placent en elle le Conseil de l'Université et le pays tout entier.

En cet instant solennel et sous les auspices de Votre Altesse je vous prie, Monseigneur, de vouloir bien déclarer ouverte l'Université Égyptienne.

(*Traduction*)

UNIVERSITÉ ÉGYPTIENNE

DISCOURS PRONONCÉS

À LA

CÉRÉMONIE DE L'OUVERTURE SOLENNELLE

DANS LA

GRANDE SALLE DU CONSEIL LÉGISLATIF

Lundi 21 Décembre 1908 (27 Zilkadeh 1326)

au matin

LE CAIRE
IMPRIMERIE NATIONALE
1908

[redacted]

القاهرة .

مجموعة الخطب التي القيت في حفلة
الافتتاح ١١ -

[redacted]

[redacted]
القاهرة. الجامعة المصرية
مجموعة الخطب التي القيت في حفلة ا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

F
378.62
J32ImA
C.1